التعليق على كتاب آداب الدارس والمدرس

للشيخ

محمد سعيد بن قاسم القاسمي الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ)

- رحمه الله -

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

- حفظه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّٰهم علمنا ما ينفعنا، وارفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما واغفر لنا يا رب العالمين.

أما بعد؛ فنسأل الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- كما جمعنا وإياكم في هذا المكان المبارك على طاعته أن يجمعنا في مستقر رحمته.

وهذا هو مفتتح هذه الدورة المباركة إن شاء الله، وهي **(دورة معهد مرتقى للعلوم الشرعية)** الذي ينطلق اليوم بمشيئة الله -تَعَالَى- ويمتد طيلة ثلاث سنوات إن شاء الله.

السنة الأولى: هي سنة التحصيل، والتي يدرس فيها الطالب أربعة عشر متنا، ما بين يدينا هو أولها: **(آداب الدارس والمدرس)** للقاسمي، ثم بعد ذلك يحصل من يجتاز هذه السنة على شهادة خاصة بهذه السنة.

ثم يدخل بعد ذلك للسنة الثانية والتي هي سنة التأصيل، ستتدرج فيها إن شاء الله -تَعَالَى- بمتون أوسع من هذه المتون التي سندرسها في هذه السنة إن شاء الله، وبعد إتمامها أيضا يحصل الطالب على شهادة ثانية.

ثم بعد ذلك السنة الثالثة، والسنة الثالثة إن شاء الله هي سنة التخصص، والتي سيكون فيها تخصصات، سيُخيَّر الطلبة بين تخصصات سيدرسونها بشكل مفصل إن شاء الله -تَعَالَى- بآلية سنشرحها في حينها إن شاء الله -تَعَالَى-.

قبل أن نبدأ بهذا الكتاب هناك أسئلة شائعة -كما يقولون- تتعلق بهذه الدورة وبهذا المعهد نحاول أن نجيب عنها بشكل سريع حتى تكون واضحة للجميع.

أولا: الدورة هي عبارة عن دروس -كما قلنا- أربعة عشر متنا، منها ما هو حضوري مثل هذا المتن، ومنها ما هو مسجَّل، وسيكون موجودا على الموقع الذي اشتركتم فيه، ومنها ما هو مقروء، فقط قراءة، هناك ثلاثة أو أربعة متون ستكون قراءة فقط بمشيئة الله تَعَالَى.

فإذن عندنا ثلاثة أنواع، المطلوب لمن يشترك، طبعا الجميع الآن اشترك، واليوم أُغلق باب التسجيل، لكن لمن سجَّل، وكلكم سجلتم في الموقع بإدخال البيانات، يُفترض أنه وصل إلى كل مشترك بريد إلكتروني فيه تفاصيل، حصل هناك ربما بعض الإشكالات الفنية لم يصل إلى بعض المشتركين هذا البريد، فعدم وصول البريد الإلكتروني لا يعني عدم التسجيل، فليس هناك من سجَّل ورُفض، كل من سجَّل في الموقع هو مقبول، ما عندنا شروط، الدراسة في الموقع وفي المعهد مجانية للجميع في جميع أنحاء العالم.

هناك مسألة كثيرا ما سُئلنا عنها وهي قضية الاعتماد: نحن بفضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- وقعنا مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت مذكرة تفاهم بمقتضاها تُعتمد هذه الدورة، لكن كلمة تُعتمد لا يعني أن هذه الدورة أصبحت تساوي شهادة الجميع كما فهمها البعض، وإنما هي نوع من الثقة والاعتماد الأكاديمي لهذه الشهادة، لا نعد نحن في جمعية مرتقى ولا معهد مرتقى أنها تُقبل في أي مكان، يعني: ما عندنا وعد أن هذه الشهادة إذا تخرجت أنك ستتوظف في الجهة الفلانية، ولا ندعي ونقول أنها تعادل شهادة جامعة ولا شهادة بكالوريوس ولا حتى دبلوم، وإنما الشهادة التي ستحصل عليها بمشيئة الله -تَعَالَى- في آخر الدورة بعد السنة الثالثة ستكون مختومة وعليها شعار كلية الشريعة بجامعة الكويت، ومختومة وموقعة من كلية الشريعة بجامعة الكويت، يبقى قبولها من عدم قبولها فيما بعد يرجع إلى الجهة التي ستقدم عليها إن شئت فيما بعد، إذا كان هناك جهة قبلتها فالحمد لله، لكننا لا نعد أحد تخرج بهذه الشهادة أنه يُكلم أو أنها تعادل جامعة أو كذا، وإنما هي فقط نوع من الاعتماد ونوع من التقوية لهذه الدورة بوضع شعار كلية الشريعة بجامعة الكويت مع توقيع المسؤولين في هذه الكلية، وهذه إجابة لكل من سأل في هذا الخصوص.

فإذن أكرر: الدراسة في هذا المعهد هي دراسة تطوعية مجانية لا تعني أنها تعادل دبلوم أو جامعة أو نحو ذلك، وإنما هي فقط معتمدة من قبل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، بمعنى أن الشهادة التي ستحصل عليها إن شاء الله إذا اجتزت هذه الدورة سيكون عليها شعار كلية الشريعة وتوقيع عميد كلية الشريعة، ولا نعد -كما قلت- أنها تُقبل في مكان ما، ربما إذا حصل تفاهم بعد ذلك مع جهة من الجهات أو مؤسسة من المؤسسات أنهم قبلوا هذه الشهادة سنُعلن، إذا حصلت مذكرة تفاهم أخرى مع جهة بأنهم يقبلون من يتخرج بهذه الشهادة سنُعلن، لكن إلى الآن لا يوجد أي التزام من قبلنا أن هذه

الشهادة ستُقبل إما في دراسات متقدمة عليا أو في وظيفة في جهة من الجهات؛ حتى تكون الأمور واضحة، وإنما هو فقط طلب علم شرعي إن شاء الله يحصل به الإنسان على العلم الشرعي إن شاء الله مقابل هذا الالتزام والتنظيم والترتيب في هذا المعهد إن شاء الله.

سؤال آخر: يقول بعضهم: أنا درست بعض هذه الدورات سابقا، فإذا درست بعض هذه الدورات سابقا فما وضعي وما موقفي؟

الجواب: أن الدورات التي ستكون على الموقع بعد كل دورة وفق الجدول المعلن هناك اختبار، فإذا كنت قد درست هذه الدورة مطلوب منك أن تجتاز اختبارها، أما إعادة سماع الدورة فهذا أنت مخير فيه، إذا كنت قد سبق لك دراسة الدورة، إذا كان سبق لك دراسة هذه الدورة من قبل فإنك مخير بين سماع الدورة مرة أخرى، وهذا ما ننصح به من باب المراجعة والمذاكرة، ولكنك إذا أردت أن تستمر وتحصل على الشهادة فأنت مُلزم بدخول الاختبار.

فإذن دخول الاختبار لمن أراد الحصول على الشهادة إلزامي سواء سبق لك دراسة هذه الدورة أو لم يسبق لك دراستها، أما إعادة استماع الدورة مرة أخرى فهو اختياري، لا نُلزمك به إذا كان قد سبق لك اجتياز هذه الدورة من قبل.

أعتقد أن هذه أهم الأسئلة، وإن شاء الله بعد أن ننتهي سنفتح الباب للسؤال لمن أراد أن يسأل عن هذه الدورة.

أما فيما يتعلق بهذا المتن الذي بين أيدينا فهو متن **(آداب الدارس والمدرس)** للشيخ العلامة محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي الدمشقي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وهو أحد علماء القرن الماضي.

وُلد -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- سنة **(١٢٨٣هـ)** وتوفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في سنة **(١٣٣٢هـ)** وهذا يعادل في التاريخ الميلادي **(١٩١٣ - ١٩١٤)** تقريبا.

وهذه الرسالة هي من عنوانها في آداب طالب العلم وآدب المعلم أو الشيخ، آداب الطالب والشيخ، سماها الشيخ: آداب الدارس والمدرس، وهي في الحقيقة اختصار لمقدمة الإمام النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التي قدم بها قدَّم بها كتابه العظيم الحافل **(المجموع شرح المهذب)**، فالإمام النووي أبو زكريا يحيى بن شرف النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- المتوفى سنة **(٦٧٦هـ)** إمام من أئمة المسلمين معروف غني عن التعريف، شرح

كتاب **(المهذب)** في فقه الشافعية للإمام الشيرازي بكتاب سماه **(المجموع)**، وما كمُل، وقدَّم بين يدي شرحه بمقدمة ضمنها ترجمة الإمام الشافعي ونحوها، وضمَّمنا فصولا نفيسة في آداب طالب العلم وآداب المعلم، فقام الشيخ القاسمي -رَحِمَهُ اللَّهُ- باختصار هذه المقدمة في هذا المتن الصغير اختصرها وهذبها، وهي التي بين يديكم.

فإذن هذا مختصر للأصل الذي هو أحد فصول مقدمة كتاب المجموع للإمام النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-

.

واليوم بمشيئة الله -تَعَالَى- سنُنهي هذا المتن قراءة وتعليقا بمشيئة الله بما ييسر رب العالمين -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى-.

(المتن)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وغفر الله لشيخنا وللحاضرين.

قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه في كل وقت وحين.

آداب الدارس والمدرس

من استقرأ ما كتب في هذا الباب الواسع قديمًا وحديثًا يرَ عددًا من المؤلفات والمقالات لا يأتي عليها الحصر، ولا يخفى أن لروح كل عصر مظهرًا فيما كُتب في واجباته ومطالبه، وكثير منها يتبدل بغيرها لمسيس الحاجة إلى ما هو أهم منها، أو اختلاف العادات في أطوارها وشؤونها.

(الشرح)

في قوله -رَحِمَهُ اللَّهُ-: **(من استقرأ ما كتب في هذا الباب الواسع قديمًا وحديثًا يرَ عددًا من المؤلفات)** هناك كثير من المؤلفات التي أفردت في أدب طلب العلم، من هذه المؤلفات كتاب **(جامع بيان العلم**

وفضله) للإمام ابن عبد البر -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وهو كتاب نفيس جدا، ضمنه المؤلف -رَحِمَهُ اللَّهُ- كثيرا من الآداب والمسائل المتعلقة بطلب العلم.

كذلك من الكتب في هذا الباب كتاب **(الفقيه والمتفقه)** للخطيب البغدادي -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهو ضمنه شيئا من أصول الفقه وضمنه كذلك أبوبا من أدب طلب العلم.

كثير من المؤلفات منها كذلك **(الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد)** لبدر الدين الغزي -رَحِمَهُ اللَّهُ- الشافعي، وهو كتاب حافل كذلك لا بأس به جيد في بابه.

وكذلك كثير من المؤلفات الكبيرة خصصت أبوابا في العلم وطلبه، منها السنن مثلا، مثل سنن أبي داود -رَحِمَهُ اللَّهُ- ومثل كتاب العلم كذلك في صحيح البخاري، وسنن أبي داود كتاب العلم ضمنه كذلك أبوابا في طلب العلم، ومنها كذلك كتاب للإمام الشوكاني -رَحِمَهُ اللَّهُ- **(أدب الطلب ومنتهى الأرب)** وغيرهم كثيرة.

(المتن)

إلا أن ما يتقاضاه العلم من آداب القائمين عليه درسًا وتدرسًا تتلاقى أصوله مع كل زمان ومكان؛ لذا رأيت من المهم نقل أبدع ما كتب في هذا الباب؛ إذ الأمة لا تبلغ أوج المجد إلا بالعلم ولا علم إلا بصلاح الدارس والمدرس والعالم والمتعلم إذ هم القائمون عَلَى تهذيب الملكات وإرشاد العقول، والهادون إلى صراط الحق وميزان العدل والصدق.

وقد رأيت من أحسن ما جمع في مقاصد هذا البحث الجليل ما أَورده محيي الدين النووي -أحد أئمة الرواية والدراية المشاهير- في مقدمة (شرح المهذب) فآثرت عنه خلاصة ما أثره عن أساطين الحكمة المتقدمين وجعلته مقالة موجزة.

أحكام درس العلوم الشرعية - أنواع العلوم الشرعية لا تعد وفي أحكامها ثلاثة أقسام:

(الشرح)

في هذا المبحث يتكلم المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن الحكم التكليفي لطلب العلم، يعني: ما حكم أن يطلب الإنسان العلم؟ هل هو فرض؟ هل هو مستحب، أم ماذا؟

والعلماء بعضهم قسَّم العلوم من حيث طلبها على الأحكام التكليفية الخمسة، فجعلوا من العلوم ما هو واجب، وهذا الواجب منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو محرم.

اقتصر المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- -تَعَالَى- هنا على قسمين:

القسم الأول: طلب العلم الواجب بنوعيه العين والكفاية.

والقسم الثاني: طلب العلم المستحب.

أما ما لم يذكره المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- فالعلم المحرم مثلا هو النظر في ما يحرم كتعاطي علم السحر مثلا ونحو ذلك من العلوم المحرمة فتعاطيها محرم.

أما العلم المباح فهو الذي ليس من العلوم الشرعية، ليس علما شرعيا، وليس فيه مقصد يؤدي إلى نفع للمسلمين في دينهم أو دنياهم، فهذا مباح، مثل واحد يريد أن يتخصص أو يتعلم في أنواع الطيور وسلالات الطيور مثلا، يقول: ما حكم عملي هذا؟ نقول: الأصل فيه الإباحة، يعني لا نقول لك: حرام ولا مكروه، طالما أنه لم يشغلك عن واجب فالأصل فيه الإباحة.

أما العلم المكروه فهو ما شغلك أو أدى بك إلى أن تقصر في علم من العلوم المهمة، سواء كانت العلوم الواجبة أو العلوم المستحبة.

أما العلم الواجب والعلم المستحب فذكره هنا -رَحِمَهُ اللَّهُ- -تَعَالَى- في هذا الفصل.

(المتن)

القسم الأول: فرض العين منها ويقال له الضروري، وهو درس المكلف ما تصح به عقيدته، وتجزئ معه عباداته، وتنفذ عقوده ومعاملته، وما لا غنى له عنه مما يتناوله ويستعمله.

ويدخل في ذلك درس أمراض القلب كالحسد والعجب والبخل وأمثالها من المهلكات، فقد قال الغزالي: معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين.

(الشرح)

فرض العين من العلوم هو كما ذكر المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- هنا هو الضروري، **(وهو درس المكلف ما تصح به عقيدته، وتجزئ معه عباداته)** وهذا النوع من العلوم لا يُعذر مسلم في عدم تعلمه، إلا في أضيق

الظروف، كأن يكون الإنسان قد أسلم حديثا، فلم يستوعب بعد كل هذا العلم الواجب أو يكون الإنسان مثلا في بلد لا يمكنه التعلم وإن كان في زمننا هذا لا يكاد يكون موجودا، فالآن أصبح العلم مبثوثا في كل مكان تنقله الوسائل المعاصرة، وهذا لعله من إقامة الحجة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- قبل قيام الساعة، وقد ورد في ذلك بعض الأثار، يُروى عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى أبث العلم فيعلمه الصغير والكبير والرجل والمرأة».

فمن علامات الساعة انتشار وسائل العلم، وسبل حصل العلم للإنسان بغض النظر عن الاستفادة منها أو لا، وذلك لإقامة الحجة على الخلق من الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى-.

وفي هذا النوع من العلوم يروي عبد الله بن الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال: سألت أبي -يعني الإمام أحمد بن حنبل- هل يجب عليه يجب طلب العلم؟ فقال أبي: نعم، ما يقيم به الصلاة وأمر دينه من الصوم والزكاة، يقول عبد الله: وذكر شرائع الإسلام وقال: ينبغي له أن يتعلم ذلك، وهذا يؤيد ما ذكره المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

فالخلاصة: أن كل ما يجب على الإنسان يجب عليه أن يتعلمه، فيجب على الإنسان أن يصلي فيجب عليه أن يتعلم ما يُقيم به صلاته، فإذا دخل رمضان وجب عليه أن يتعلم كيف يصوم، فإذا صار عنده مال بلغ النصاب وجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة، فإذا دخل السوق ليتاجر وجب عليه أن يتعلم أحكام الربا والمعاملات، وقد ورد عن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه نهى أن يدخل الرجل السوق وهو لا يعلم الربا؛ لأنه إذا لم يعلم الربا سيرتطم به ارتطاما من حيث لا يشعر، كما هو حاصل الآن مع الأسف الشديد، كما أخبر عن ذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه «يأتي على الناس زمان لا يَبْقَى أَحَدٌ إلاّ أَكَلَ الرِّبَا، فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ»، نسأل الله السلامة والعافية.

(المتن)

القسم الثاني: فرض الكفاية، ويقال له الحاجي، وهو درس ما لابد للناس منه في إقامة دينهم كحفظ القرآن والأحاديث وعلومها والأصول والفقه والنحو واللغة ومعرفة رواة الحديث والإجماع والخلاف.

ومنه يحتاج إليه في قوام أمر الدنيا كالطب والحساب والهندسة.

ومنه تعلم الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالزراعة ونحوها.

(الشرح)

النوع الثاني من العلوم: فرض الكفاية، وفرض الكفاية -كما لا يخفى عليكم- هو ما إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم وسقط التكليف عن البقية، فإذا قصَّر المسلمون فيه أثم من المسلمين كل من كان قادرا على تحصيله، **(وهو درس ما لابد للناس منه في إقامة دينهم كحفظ القرآن)**؛ لأن حفظ القرآن فرض كفاية، لا يجب على كل مسلم أن يحفظ القرآن وجوبا عينيا، ولكن يجب أن يكون في المسلمين من يحفظ القرآن، وكذلك الأحاديث وما يتعلق بعلومها أي علوم القرآن والسنة **(والأصول)** أي أصول الفقه، **(والفقه)** ولكن ينبغي أن نتنبه أن من الفقه ما هو فرض عين كما سبق قبل قليل، فإذن قوله هنا **(والفقه)** من العام المقصود به الخاص، وهو ما عدا الفرض العيني الذي سبقت الإشارة إليه قبل قليل.

(المتن)

القسم الثالث: النقل ويقال له التحسيني، وهو كالتبحر في أصول الأدلة والإمعان فيما رواه القدر الذي يحصل به فرض الكفاية والتوسع في فنون الأدب والمعقول.

(الشرح)

ويُضاف إليه طلب العلم لما بعد تحصيل فرض الكفاية، فإذا قام من المسلمين من يقوم بهم فرض الكفاية في العلم فأراد الإنسان أن يتعلم فنقول له: يُستحب لك أن تتعلم؛ لأنه قد أدى من المسلين في هذا العلم فئة فرض الكفاية، فيبقى ما عدا ذلك مستحبا.

وهنا مسألة أصولية: هل كل من قام بفرض الكفاية يؤجر أجر الوجوب أم يؤجر فقط من سبق إلى هذا العلم، أو سبق إلى داء فرض الكفاية؟ فإذا كان يكفي لإقامة فرض الكفاية ثلاثة، هل يقتصر أجر الفرض على أول ثلاثة ثم ما بعدهم يؤجرون أجر النافلة، أم كل من قام بهذا العمل يؤجر أجر الفريضة ولو كان بعد تحقيق فرض الكفاية؟

قولان عند الأصوليين، والله أعلم.

(المتن)

آداب المدرس

أهم ما يطلب منه أن يعتني به أدبه في نفسه وأدبه في درسه:

القسم الأول: أدبه في نفسه، وذلك في أمور:

منها: أن يقصد بتعليمه وجه الحق -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- لا توسلًا إلى غرض دنيوي كمال أو جاه أو شهرة أو تكثير المختلفين إليه أو نحو ذلك كما كان عليه سلف الأمة فقد قال الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم عَلَى أن لا ينسب إليَّ حرف منه"، وقال أيضًا: "ما نظرت أحدًا قط علي الغلبة ووددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الحق عَلَى يده".

(الشرح)

وهذه منزلة عليا أن يقصد الإنسان بتعليمه وتعلمه وفي جميع شؤونه وجه الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- وهذا أمر ينبغي أن يأخذه المعلم والمتعلم بعين الاعتبار والتعاهد المستمر؛ لأن النفس أحيانا تخادع صاحبه، فيظن نفسه مخلصا وهو خلاف ذلك، ولذلك علامات:

من علامات المخلص أن يتساوى عنده القادح والمادح، وأن يكون بينه وبين ربه -عَزَّ وَجَلَّ- خبيئة من عمل الصالح، ولا يقتصر عمله الصالح وتفانيه في خدمة الدين على ما يظهر للناس، بل حتى ولو كان فيما بينه وبين ربه -عَزَّ وَجَلَّ-.

وكان السلف رحمة الله عليهم يتواصون فيما بينهم في ذلك، فقد وهب بن منبه إلى مكحول -رحمة الله عليهما- وكان قد اشتهر مكحول -رَحِمَهُ اللَّهُ- فقال له وهب: "يا مكحول، إنك امرؤ قد أصبت بما ظهر لك من علم الإسلام شرفا" يعني منزلة وذكرا عند الناس "فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى"، يعني: أنت الآن قد أصبت بهذا العلم الذي كسبته وحققته شرفا عند الناس، فلا تغفل عن أن تطلب بهذا العلم محبة وزلفى إلى الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- وأحدهما قد يصد عن الآخر.

بل يقول ابن رجب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "إنهما منزلتان لا تجتمعان" منزلة الحرص على طلب الشرف، والحرص على طلب المحبة والزلفى.

فإذا شبع الإنسان وقصد المنزلة الأولى وهي الشرف في الدنيا صده ذلك -والعياذ بالله- عن المنزلة الثانية وهي المحبة والزلفى.

ومن تكريم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لمن قصد المنزلة الثانية أن يحقق له معها المنزلة الأولى.

(المتن)

ومنها: أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التي أرشد إليها، كالحلم والصبر والسخاء والجود وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة وملازمة الورع والوقار والتواضع والتنظف في البدن واللبسة.

ومنها: الحذر من الحسد والرياء والإعجاب وتزكية النفس وإزراء الناس وإن كانوا دونه بدرجات.

(الشرح)

هذه الأمراض أمراض القلوب **(الحسد والرياء والإعجاب)** فرع عن عدم تحقيق الإخلاص، فإن من ثمرات ومن نتائج عدم تحقيق الإخلاص أن ينبت في قلب الإنسان هذه الأدواء **(داء الحسد)**: أن يحسد غيره في مثلا منزلة حصل عليها أو شرف عند الناس أو علم أو نحو ذلك، وهذا ناشئ -كما قلت- عن عدم تحقيق الإخلاص، وعادة ما تنقلب هذه على صاحبها، ومما يُذكر في ذلك عن الشيخ ابن قدامة جد آل قدامة الذي قدم من جماعيل في فلسطين ونزل في الصالحية في دمشق.

ذكر ابن طولون -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه **(الجواهر اللؤلؤية في أخبار الصالحية)** قصة عجيبة: كان هذا الرجل -كما قلت- فرَّ بدينه من فلسطين بسبب تسلط الصليبيين عليها، وذهب إلى دمشق، وكان رجلا صالحا عابدا زاهدا على مذهب الحنابلة، وكان هناك وقف على الحنابلة في تلك الديار يدر مالا كثيرا، فكان القائم على هذا الوقف أحد الكبار، فخشي من هذا الشيخ، هذا الشيخ كان في حاله، لم يزاحمه أصلا في وقفه ولم يزاحمه في شيء، وإنما بنى له مسجد، طبعا لم تكن تُسمى الصالحية تلك الديار، كانوا على سفح جابل قاسيون، سُمية الصالحية على نسل آل قدامة، فخشي منه فذهب إلى الوالي في ذلك الوقت ووشى به، قال: هذا فلان فيه كذا، وكأن عنده كذا، وكأن عنده ملاحظات، فنبههم عليه، نبه الوالي عليه، فسأل عنه، فذكروا له من مناقبه، فعزل الواشي ووضعه بدلا عنه على الوقف.

يعني هذا الواشي أراد أن يستبق الأحداث، فقال: هذا فيه كذا، وفيه كذا، والشيخ كان في حاله، فالوالي سأل قال: من هذا؟ فسأل عنه، فما سأل عنه أحدا إلا أثنى عليه، فقال: إذن هذا الذي يستحق، فعزل الواشي هذا ووضعه على هذا الوقف.

إذن هذا الحسد.

والرياء -نسأل الله السلامة والعافية- أن يعمل الإنسان العمل ابتغاء مرضاة الناس، لا ابتغاء مرضاة الله.

والإعجاب: أن يُعجب بعمله، ويرى أن هذا من كسبه أو من اجتهاده، وينسى نسبة ذلك إلى الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- كل هذه الأمراض ينبغي أن يبتعد عنها المسلم على وجه العموم، وطالب العلم على وجه الخصوص؛ لأنها تدمر وتمحق البركة في علمه.

(المتن)

ومنها: أنه إذا ترخص في أمر جائز وخيف أن يظن خلافه أن يخبر أصحابه ومن يراه حقيقة ذلك الفعل لينتفعوا ولئلا يأثموا بظنهم السيئ.

(الشرح)

نعم، وهذه مسألة: أن طالب العلم والمعلم -وهنا طبعا يتكلم عن المعلم الذي هو في مقام القدوة- لا ينبغي أن يظهر للناس بمظهر يجعلهم يُسيئون الظن فيه، ونحن هنا بين مقامين: بين مقام النظر إلى نظر الناس إليك، وبين مقام عدم حمل الناس على إساءة الظن به، وهذا مقام دقيق، فبعض الناس يأخذ هذا الكلام ويجعله يصل إلى ما حُذِّر منه في المسألة التي قبلها، فتجده يُظهر نفسه دائما أمام الناس بصفة الكمال ويُحب أن يُمدح ويُثنى عليه ... إلخ، وهذا مقام.

وهناك مقام آخر وهو مقام: أن لا يجعل للناس عليه مدخلا في سوء الظن، وبينهما خلاف واختلاف، بين المقامين اختلاف، فهذا شيء وهذا شيء، فتحرص على عدم الرياء، وعدم النظر ومراقبة الناس، ولكن إذا حصل منك -وهنا الفرق الدقيق- أنه إذا كان هناك مسوغ لسوء الظن، أو قد يفتح على الإنسان سوء الظن، هنا ينبغي أن يظهر.

والأصل في ذلك ما في صحيح البخاري وغيره من حديث صفية -رَضِيَ اللهُ عَنْها- الشهير أنها كان مع النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- زارته في معتكفه، فأراد أن يقلبها في الليل إلى بيتها، فرآه رجلان من الأنصار فأسرعا، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» يعني: هذه زوجتي، وهنا النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- ما قال: أهم شيء أن ما فعلته صحيح، وما فعلت شيئا خطأ، وهم على كيفهم، أدعهم يظنون ما يظنونه ويقولون ما يقولون، هذا غير صحيح، وهذا ليس من أجل النبي -عَلَيْهِ

الصَّلاةُ والسَّلَامُ- بل من أجلهم هم، فقد صرَّر النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- بذلك في نفس الحديث، فقال: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ». فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يعني: كيف توضح لنا؟ هل يمكن أن نظن خلاف ذلك؟ فبين النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- نعم، يمكن قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»، لذلك الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث يقول: فيه التحرز من التعرض لسوء الظن.

وقال ابن دقيق العيد -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يُقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم، سبب ذلك: حتى لا يُعرض الناس عن العلم ويُعرضوا عما عندهم من الخير بسبب سوء ظنهم، ومع الأسف بعض الناس لا يفرق، فإذا وقعت زلة من عالم ضرب عليه ولا يأخذ منه حرفا، وهذا خطأ، فنقول: لا نحمل الناس على ذلك، فنتحرز قدر المستطاع أن لا نقع في ما يجعل الناس يسيئون الظن بنا، فإذا حصل شيء من ذلك فنُبين ونوضح أن المقصد كذا وكذا وليس كما تظنون.

(المتن)

القسم الثاني: أدبه في درسه، وذلك أن لا يزال مجتهدًا في الاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتعليمًا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفًا.

(الشرح)

مهما بلغ من علمه وطال عمره، وقد ذكر ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في مناقب الإمام أحمد أنه وكان قد بلغ من العمر والعلم مبلغا كبيرا، كان يحمل محبرته ويمشي مع طلاب الحديث، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين، فقال له أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- كلمته الشهيرة "مع المحبرة إلى المقبرة".

محبرة طالب العلم لا يتركها حتى يصل إلى المقبرة، وهذا مبني على أن العلم ليس له حد ينتهي إليه، ليس هناك شيء اسمه: انتهينا من طلب العلم، طلب العلم تفنى دونه الأعمار ولا ينتهي.

إذن لا تضع في ذهنك أنك انتهيت، حتى حفظ القرآن، ليس هناك شيء اسمه انتهيت من حفظ القرآن، أنت إذا لم تتعاهد القرآن تفلت، إذا لم تستمر في العلم تفلت؛ ولذلك ينبغي أن يعتبر الإنسان نفسه باستمرار طالبا للعلم، مهما بلغ في عمره ومهما بلغ في علمه ومهما بلغ في مكانته.

(المتن)

وأن لا يستنكف من التعلم ممن هو دينه في سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر، بل يحرص على الفائدة ممكن كانت عنده وإن كان دونه في جميع هذا.

(الشرح)

روى الإمام ابن الصلاح -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه **(معرفة علوم الحديث)** عن الإمام وكيع بن الجراح -رَحِمَهُ اللَّهُ- -تَعَالَى- أنه قال: "لا ينبل الرجل" يعني: لا يكون نبيلا في العلم "حتى يكتب عمن فوقه وعمن مثله وعمن دونه".

لا يستنكف الإنسان أن يكتب؛ لذلك هناك من أنواع علوم الأحاديث نوع **(رواية الأكابر عن الأصاغر)** وهذا معروف، بل يذكرون من ضمن ذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في روايته عن تميم الداري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في حديثه الشهير حديث الجساسة، فإن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- روى هذه القصة عن تميم، روى ما حدثه به تميم الداري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لذلك يقولون: هذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر.

(المتن)

وأن لا يستحي من السؤال عما لم يعلم، روي أمير المؤمنين عمر أنه قال: "من رق وجهه رق علمه"، وروى البخاري عن عائشة أم المؤمنين قالت: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".

(الشرح)

رُوي عن عمر هذا الكلام "من رق وجهه رق علمه" -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وابنه عبد الله بن عمر كذلك، والحسن البصري، وكثير من العلماء، معنى "من رق وجهه رق علمه" من رق وجهه يعني: خجل واستحيا أن يسأل، فلان رقيق الوجه يعني: لا يستطيع أن يسأل، يهاب، يستحي، يخجل، فمن كان هذا شأنه "رق علمه" يعني: صار علمه رقيقا خفيفا، لذلك يقول الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما روى عنه الدينوري في كتاب **(المجالسة)** يقول: "من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس الجهل سربالا، من جعل بينه وبين طلب العلم الحياء والخجل لبس للجهل سربالا، فقطعوا سرابيل الحياء، فإنه من رق وجهه رق علمه".

وذكر السخاوي في كتابه **(فتح المغيث)** عن علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "قُرنت الهيبة بالخيبة" بمعنى: إذا كان في صدرك سؤال فهبت أن تسأل عنه خبت؛ لأنك إذا لم تسأل كيف تتعلم، لذلك قال: "قُرنت الهيبة بالخيبة".

ويقول الأصمعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجل أبد الدهر".

"من لم يحتمل ذل التعلم ساعة"؛ لأن هذا السؤال لا يخلو من شيء من الذل والسؤال والطلب، فمن لم يحتمله حتى يعلم بقي طوال الدهر جاهلا، وكان الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- في روايته عن نافع، ونافع ومولى ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- كان في طبعه شيء من الحدة، فكان الرواة يتهيبونه ويخافون منه، كان شرس الطباع -رَحِمَهُ اللَّهُ- ولكنه مستودع علم ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهو مولى ابن عمر وقد أودعه عمر علمه، فكان مالك يأتيه، ولم يكن يفاجئه بالسؤال، كان -كما يقولون في ترجمة مالك رَحِمَهُ اللَّهُ- كان يسلم عليه في المسجد ويجلس بعيدا، ويسارقه النظر، ونافع يسارقه النظر، يعني يقول: هذا غريب، ماذا يريد؟ يسلم وهو بعيد!! طلاب الحديث كانوا أكثر جرأة، ثم قبل أن يمشي يأتي إليه ويقول: ما حديث كذا؟ أريد حديثا واحدا فقط، فيقول: حدثنا ابن عمر عن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- أنه قال، ويقول له: جزاك الله خيرا، ويمشي، فكان يأخذ منه كل يوم حديثا، وهكذا طوال فترة من الزمن، وكل فترة يزيد حديثين وزاد ثلاثة، إلى أن دخله البيت، فأخذ عنه علمه.

فلو قال مالك: ما الذي يجعلني أن أذل نفسي أمام هذا وهو مولى من الموالي ومالك عربي؟ ما الذي يجعلني أذهب وأرجع؟ ... إلخ، لم يكن حصَّل العلم الذي حصله.

(المتن)

وأن لا يمنعه منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه فقد كان كثير من السلف يستفيد من تلامذته ما ليس عنده، قال الإمام النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "قد ثبت في الصحيح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعة من التابعين عن تابعي التابعين، وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعيًا وروى عنه أكثر من سبعين من التابعين، وثبت في الصحيحين أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قرأ لم يكن الذين كفروا عَلَى أُبي بن كعب وقال أمرني الله أن أقرأ عليك: ويسمى هذا النوع: وراية الأكابر عن الأصاغر.

وأن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبة به ورأس ماله، فلا يشتغل بغيره فإن اضطر إلى غيره في وقت فعل ذلك الغير بعد تحصيل وظيفته من العلم.

(الشرح)

وهذا من الأمور المهمة الجدة، الآن مع الأسف الشديد يوجد من طلبة العلم من هو لا يُعطي العلم إلا فضلة وقته، يعني بعد أن ينتهي من أشغاله ومن خرجاته ودخلاته ورحلاته وكل شيء قال: دعنا نفتح، هذا يمكن أن يصير اسمه مثقفا أو مطلعا لكن لا يُسمى طالب علم، طالب العلم العكس بعد أن ينتهي من مقرره أو وظيفته اليومية التي ألزم نفسه بها في طلب العلم ينظر بعد ذلك للأمور الأخرى، وكما هو مشهور أن العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعض، فما بالك إذا أعطيته بعضك؟ لن يعطيك شيئا.

(المتن)

أدبه في تصنيفه

قال النووي: ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له، فبه يطلع عَلَى حقائق العلم ودقائقه ويثبت معه؛ لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة، والتحقيق والمراجعة، والاطلاع عَلَى مختلف كلام الأئمة ومثقفه، وواضحه من مشكله، وصحيحه من ضعيفه، وجزله من ركيكه، وما الاعتراض عليه من غيره، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد.

وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه.

وليحذر أيضًا من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه وتكريره.

(الشرح)

هذه المسألة مسألة مهمة، وهو نوع من أنواع تحصيل العلم، والإمام النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- ممن اشتهر بهذه الطريقة، وهذا هو سر كثرة مؤلفات النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- فإن النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما قيل في ترجمته كان تحصيله تصنيفا وتصنيفه تحصيلا، يعني: شروحات النووي كثيرة، له شرح على البخاري، له شرح على مسلم شهير، له شرح على سنن أبي داود اسمه الإيجاز، له المجموع شرح المهذب لم يكمل، روضة الطالبين، الأذكار، رياض الصالحين ... إلخ، كثير من هذه الشروحات رغم أنه تُوفي ولم يتجاوز من عمره خمسة وأربعين سنة -رَحِمَهُ اللَّهُ- النووي مات وعمره خمسة وأربعون سنة فقط؛ لأنه وُلد سنة **(٦٣١هـ)**، وتوفي -

رَحِمَهُ اللَّهُ- سنة **(٦٧٦هـ)**، وُلد في نوى -وهي قرية جنوبي دمشق- وعاش في دمشق وتُوفي بها -رَحِمَهُ اللَّهُ- وقال زين الدين بن الوردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- الشاعر الشهير:

لَقِـــــيتِ خَـــــيْرَاً يَـــــا نَـــــوَى ... وَوُقِيـــــتِ مِـــــنْ أَلَـــــمِ النَّـــــوَى

فَلَقَـــــدْ نَشَـــــا بِـــــكِ عَـــــالِمٌ ... للهِ أَخْلَـــــصَ مَـــــا نَـــــوَى

فعـــــلى عـــــداهُ فضـــــلُهُ ... فضـــــلُ الحبـــــوبِ عـــــلى النـــــوى

فجعل فيها جناسا حسنا، وهذا ابن الوردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- شاعر مجيد، وله مرثية في شيخ الإسلام بن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- طائية من أروع ما أنت قارئ في المراثي.

فالنووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- على صغر عمره كثرت مؤلفاته، والسر في ذلك بعد ما نحسبه عليه من الإخلاص لله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه كان قد اتخذ هذا الأسلوب في التحصيل، وهو أسلوب التصنيف، فكان يأتي إلى المتن الذي يريد أن يدرسه ويضع عليه شرحا، لا بقصد النشر ولا بقصد الإخراج ولا الطباعة، وإنما بقصد التعلم، وهذا أمر مجرب ومفيد جدا، ضع لك شرحا، ولكن مثل ما نبه هنا، عندنا مرحلتين: مرحلة البداية في التصنيف، ومرحلة النشر، ليس كل طالب له أن يبدأ بالتصنيف، وإنما إذا حصل.

كما قال هنا: **(وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له)** يعني: إذا كنت أول مرة تدرس علم من العلوم لا تبدأ بالتصنيف، حتى لو بقصد التحصيل، وإنما إذا حصلت طرفا حسنا لا بأس به من هذا العلم، كعلم الفقه مثلا درست فيه أربعة أو خمسة متون وأصبح عندك نوع من الملكة الحسنة فيه اشرح متنا من المتون، والآن قد تيسر في الوسائل المعاصرة، ضع لك ملف وورد في هذا المتن، وخذ المتن من المكتبة الشاملة، واكتب شرحا عليه، جمِّعه أنت، اقرأ المتن وكأنك تؤلف شرحا، وانس أن تُخرجه، ليس بغرض الإخراج أو التأليف والنشر، وإنما بغرض التحصيل العلمي؛ لأنك إذا ألفت ستدقق، وترجع في هذه الكلمة إلى الحواشي والشروح وتنقل من الحواشي والشروح وكذا وتدون، ويصبح تصنيفك تحصيلا.

أما قضية الإخراج فهذا أمر لاحق فيما بعد، وأنا لا أنسى نصيحة نُصحت بها وأنا كنت في مقاعد كلية الشريعة قبل عشرين سنة تقريبا، كتبت بحثا خارج نطاق الدراسة عن أحكام الزواج ونحو ذلك، وكنت أرى أن هذا البحث لا مزيد عليه، سبحان الله!! كل مرحلة عمرية لها نظرة معينة، فأنت ترى أن هذا الكلام

أنت رقم اثنين بعد ابن تيمية فعرضته على بعض المشايخ، وأفادوني بملاحظات جزاهم الله خيرا، ونصحني أحدهم نصيحة، قال لي: لا تفكر أن تطبع هذا الشرح أو هذا الكتاب، قلت له: زين، وإلى اليوم لم يُطبع، من عشرين سنة عندي.

الآن أنظر إليه فأشكر وأدعو لهذا الشيخ على هذه النصيحة، لماذا؟ لأني عندما أقرأ أضحك من الأسلوب وطريقة الكلام ومن العبارات، ومن الجرأة، لكن قد استفدت على المستوى الشخصي من هذا الكتاب، وهذا الذي أريد أن أوصله إليكم: اكتبوا شروحا ولا تنشروها، خذ لك دفاتر إذا كنت تحب كتابة خط اليد، أو على الكمبيوتر مطبوعة، خذ متنا واشرحه إذا حصلت طرفا حسنا من هذا العلم ومن هذا المتن اشرح، ستجد فيه نفعا كبيرا إن شاء الله -تَعَالَى-.

(المتن)

وليحرص عَلَى إيضاح العبارة وإيجازها، فلا توضح إيضاحًا ينتهي إلى الركاكة، ولا يوجز إيجازًا يفضي إلى المحق والاستغلاق.

وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد بهذا: أن لا يكون هناك مصنف يغني عن مصنفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها مع ضم ما فاته من الأساليب.

وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه.

(الشرح)

هذا الذي يُسمى في الدراسات العليا: الإضافة العلمية، إذا أردت أن تُخرج شيئا للناس فإذا لم يكن فيه إضافة علمية فلا تُخرجه.

(المتن)

آداب تعليمه

التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين والدنيا وبه يؤمن امحاق العلم.

(الشرح)

(امحاق) يعني: زوال.

(المتن)

وبه يؤمن امحاق العلم، وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[آل عمران: ١٨٧]، وقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب».

يجب العلم لأن يقصد بتعليمه وجه الله تَعَالَى، وأن أي جعله وسيلة إلى غرض دنيوي؛ لأن ما كان خالصًا كان مستمرًا غضًا في كل حين وما كان لغرض زال عند الظفر به فقات ما قصد له.

ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فإنه يرجى له حسن النية، وربما عسر في كثير من المبتدئين وتصحيح النية فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم مع أنه يرجى له تصحيحها إذا أنس بالعلم، وقد قال بعض السلف: "طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"، معناه: أن كانت عاقبته أن صار لله.

(الشرح)

ذكر الإمام الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في السير: "قال عَبْدُ الرَّزَاقِ: أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ بن راشد" وهو شيخ عبد الرزاق -رَحِمَهُ اللَّهُ- "قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ الرَّجُلَ يَطلُبُ العِلْمَ لِغَيْرِ اللهِ، فَيَأْبَى عليه العلم حتى يكون لله".

العلم يهذبه؛ لأنه في بداية الطلب صغير في السن، يعني له مقاصد أخرى في الطلب، فلا يزال في طلبه للعلم؛ حتى يهذبه العلم.

"قُلْتُ" وهذه من تعليقات الذهبي الشهيرة، وينبغي لطالب العلم أن يحرص عليها، الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في سير أعلام النبلاء لا يسرد فقط الروايات، ولكنه كان يعلق تعليقات، من هذه التعليقات هنا يقول: "قُلْتُ: نَعَمْ يَطلُبُهُ أَوَّلاً، وَالحَامِلُ لَهُ حُبُّ العِلْمِ، وَحُبُّ إِزَالَةِ الجَهْلِ عَنْهُ، وَحُبُّ الوَظَائِفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُن عَلِمَ وُجُوبَ الإِخْلاَصِ فِيْهِ، وَلاَ صِدْقَ النِّيَّةِ، فَإِذَا عَلِمَ، حَاسَبَ نَفْسَهُ..." إلى آخر كلامه.

فالمقصود: أن الإنسان إذا أتاه من شك في نيته لا يقول: لا، اذهب فصحح نيتك ثم تعال، بل علمه فربما بعد ذلك تتصحح نيته، أو أن إذا كنت في فترة من الفترات لم تصحح النية فلا تيأس، فلعل مع الوقت ستتصحح النية، بل يجب عليك أن تحرص على تصحيح النية باستمرار.

(المتن)

وينبغي أن يؤدب المتعلم بالتدريج بالآداب السنية والشيم المرضية.

ويحرص عَلَى الإخلاص والصدق وحسن النية.

وينبغي أن يرغّبه بالعلم ويذكره بفضائله وفضائل علماءه.

(الشرح)

أما عن فضائل العلم فكثيرة جدا، منها قول الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران: ١٨]، وهذه من أعظم الآيات في فضل العلم؛ لأن الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- قرن شهادة أولي العلم بشهادة ملائكته، بشهادته -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- على أعظم مشهود عليه وهو التوحيد، وكفى بهذا منقبة.

أما في السنة فكثيرة الأحاديث، منها ما في الصحيحين عن معاوية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، وفي الصحيحين أيضا عن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»... إلى آخر الأحاديث الكثيرة في فضل العلم.

(المتن)

وينبغي أن يحنو عليه ويعتنى بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده، ورجي مجرى ولده في الشفقة، عليه والاهتمام بمصالحه، ويعذره في سوءِ أدب وجفوة تعرض معه في بعض الأحيان فإن الإنسان معرض للنقائص.

وينبغي أن يكون سمحًا ببذل ما حصله من العلم سهلًا عَلَى مبتغيه، متلطفًا في إفادته طالبه مع رفق ونصيحة وإرشاد إلى المهمات وتحريض عَلَى حفظ ما يبذله لهم من الفوائد.

ولا يدخر عنهم من أنواع العلم شيئًا يحتاجون إليه إذا كان الطالب أهلًا لذلك.

ولا يلقي إليه الشيء لم يتأهل له؛ لئلا يفسد عليه حاله، فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه، ويعرفه أن منعه ليس شحًا بل شفقة ولطفًا.

(الشرح)

ليس كل ما يُعلم يُقال، وعلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يُروى عنه أنه قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»، والمقصود أن طالب العلم إذا سألك سؤالا -وهذا يندرج حتى على

الأولاد الصغار- ليس كل ما يسألون عنه يمكن أن يُجاب، ولكن تتلطف معه، وتقول له: لن تستوعب هذا الآن، أو تحاول أن تجيب إجابة عامة، أو ستعرف هذا في المستقبل، أو نحو ذلك من العبارات التي لا تُشعره بأنك قد ضننت عليه بهذا العلم بخلا ونحو ذلك.

(المتن)

وينبغي ألا يتعظم عَلَى المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وينبغي أن يكون حريصًا عَلَى تعليمهم مهتما به مؤثرًا له على حوائج نفسه، ويرحب بهم عند إقبالهم إليه، ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه، ويحسن إليه بعمله وماله وجاهه، ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته.

وينبغي أن يتفقدهم ويسال عمن غاب منهم.

(الشرح)

لأنه ليست فقط المنة على الطلبة، وإنما المنة كذلك للطلبة على الشيخ؛ لأنه لولاهم لما درَّس ولما استفاد، ولولا أسألتهم لما حُرِّكت معلوماته، لو لم يدرس كيف سيتذاكر هذا العلم الذي عنده؟ فهذا الأمر مهم، نعم للشيخ منة على طلابه، وللطلاب كذلك منة على شيخهم.

(المتن)

وينبغي أن يكون باذلًا وسعه في تفهمهم وتقريب القائدة إلى أذهانهم حريصًا عَلَى هدايتهم.

ويُفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ما لا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كل واحد عَلَى قدر درجته وبحسب فهمه وهمته، فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهمًا محققًا، ويوضح العبارة لغيره ويكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار، ويذكر الأحكام موضحة بالأمثلة من غير دليل لمن ينحفظ له الدليل، فإن جهل دليل بعضها ذكره له ويذكر الدلائل لمحتملها.

(الشرح)

وهذا نراه في المتون الصغيرة، وبعض الشباب يُسيء الظن ويُسيء الأدب مع المؤلفين الذين أفردوا مسائل الفقه عن الأدلة، يقول: هؤلاء ليس لهم عناية بالدليل، وهذا من الجهل، بل هم من أحرص الناس

على القرآن والسنة والأدلة، ولكن أرادوا أن يكون هذا المتن للمبتدئين عريا عن الأدلة؛ لأنه ليس كل طالب يستطيع أن يستوعب العلاقة بين الدليل وبين المسألة، فالمطلوب أن يعطيه المسألة، ثم بعد ذلك في مرحلة لاحقة يُعطيه الأدلة، وهذا معنى كلام المصنف هنا: **(ويذكر الأحكام موضحة بالأمثلة من غير دليل لمن ينحفظ له الدليل)** ينحفظ له الدليل يعني: مما ينبغي أن لا يُذكر له الدليل.

(المتن)

ويذكر ما يرد عَلَى المسألة وجوابه إن أمكنه.

ويبين الدليل الضعيف؛ لئلا يغتر به فيقول: استدلوا بكذا وهو ضعيف لكذا، ويبين الدليل المعتمد ليعتمد.

وينبههم عَلَى غلط ما غلط فيها من المصنفين فيقول مثلًا: هذا هو الصواب، وأما ما ذكره فلان فغلط أو فضعيف قاصدًا التضحية؛ لئلا يغتر به لا تنقيص القائل فإن الانتقاد إنما يكون للقول لا لقائله.

(الشرح)

المقصود هنا ليس في المسائل الاجتهادية، مثل قول أن هذا هو الراجح وهذا هو المرجوح؛ لأن هذا لن ينتهي، كل مسألة في الفقه مثلا فيها خلاف، لكن هنا إذا كان غلط ظاهر، يعني الكلمة فيها خطأ، فهنا يتلطف مع المؤلفين والعلماء والمصنفين فيرد خطأهم بتلطف، ولا يجرئ الطلاب على العلماء؛ لأن بعض الشيوخ بطريقة تخطئته للعلماء يجرئهم، يجعل هذا العالم في نظر هذا الطالب ضعيفا لا يفقه لا يعرف شيئا، بل يتلطف.

(المتن)

ويبين له جملًا من أسماء المشهورين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فمن بعدهم من الأئمة المشاهير وأنسابهم وكناهم وأعصارهم وطُرف حكايتهم ونوادرهم، وضبط المشاكل من أنسابهم وصفاتهم، وتمييز المشتبه من ذلك، وجملًا من الألفاظ اللغوية والعرفية ضبطًا لمشكلها وخفي معانيها، فيقول: هي مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة مخففة أو مشددة، مهموزة أولًا، عربية أو أعجمية أو معربة وهي التي أصلها عجمي وتكلمت بها العرب، مصروفة أو غيرها، مشتقة أولًا، مشتركة أم لا، مترادفة أم لا، وأن المهموز والمشدد يخففان أم لا، وأن فيها لغة أخرى أم لا.

(الشرح)

ومن الكتب المهمة في هذا الباب كتاب للمؤلف نفسه النووي **(تهذيب الأسماء واللغات)**، فقد اعتنى - رَحِمَهُ اللَّهُ- بهذا بضبط الأسماء واللغات وكذا، وكذلك كتاب المغني في أسماء الرجال للهندي، وهو كتاب قيم، وكذلك الأنساب للسمعاني ويعتني بضبط الأنساب، وهو ليس في الأنساب بمعنى القبائل كما يظن البعض، بل هو في الأسماء يعني: أسماء الرجال، سواء كانت نسبة إلى بلد أو نسبة إلى قبيلة أو نسبة إلى مهنة ونحوها.

(المتن)

وإذا وقعة مسألة غريبة لطيفة أو مما يسأله عنها في المعاياة نبهه عليها وعرفه حالها في كل ذلك.

(الشرح)

(المعاياة) يعني: اللغز.

(المتن)

ويكون تعليمه إياهم كل ذلك تدريجًا ليجتمع لهم طول الزمان جمل كثيرات.

(الشرح)

وقد قيل: إن العالم الرباني هو الذي يعلم الناس صغار العلم قبل كباره.

(المتن)

وينبغي أن يحرضهم عَلَى الاشتغال في كل وقت ويطالبهم في كل أوقات محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات، فمن وجده حافظًا مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه وأشاع ذلك، ومن وجده مقصرًا لامه ويعيده له حتى يحفظه حفظًا واضحًا.

(الشرح)

مع مراعاة المشاعر طبعا، أحيانا قد يكون هناك نوع من الحزازات بين الزملاء، فيراعي كذلك الشيخ، يعني أحيانا يمدح فلانا فقد يجرح فلانا، لماذا فلان وأنا لا؟ أو العكس، هنا لما قال: **(ومن وجده مقصرًا لامه)** قد يكون اللوم هذا يؤثر في بعض الناس، فيراعي الشيخ هذه الأمور.

(المتن)

وينبغي أن يصنفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيرًا.

وينبغي أن يقدم في تعليمهم إذا ازدحموا السبق فالأسبق ويتحرى تفهيمهم بأيسر الطرق، ويذكره مترسلًا مبينًا واضحًا، ويكرر ما يشكل من معانيه وألفاظه حتى يفهموه، وإذا لم يكمل البيان إلا بالتصريح بعبارة يستحى في العادة من ذكرها فليذكرها بصريح اسمها، ولا يمنعه الحياء ومراعاة الأدب من ذلك؛ فإن إيضاحها أهم من ذلك، وإنما يستحب الكناية في مثل هذا إذا علموا المقصود منها علمًا جليًا، وعلى هذا التفصيل يحمل ما ورد في الأحاديث من التصريح في وقت والكناية في وقت.

(الشرح)

فالنبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ- صرَّح بتصريحات في بعض الروايات تصريحات واضحة، ولكن كانت في سياق معين لا يحصل المقصود إلا به.

(المتن)

ويؤخر ما ينبغي تأخيره ويقدم ما ينبغي تقديمه، ويقف في موضع الوقف، ويصل في موضع الوصل.

ويحسن خلقة مع جلسائه، ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو شرف أو صلاح، ويتلطف بالباقين.

وينبغي أن يصرف يديه عن العبث وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة، ويعم الحاضرين بالتفاته، ويجلس في موضع يبرز وجهه لهم.

ويقدِّم من دروسه أهمها، فيقدم التفسير ثم الحديث ثم الأصولين ثم الأهم فالأهم.

(الشرح)

الأصولان يعني: أصول الدين وأصول الفقه.

(المتن)

ولا يقرأ الدرس وبه ما يزعجه كمرض أو جوع أو مدافعة الحدث أو شدة فرح أو غم.

ولا يطيل مجلسه إطالة تملهم أو تمنعهم فهم الدرس أو ضبطه، وليكن مجلسه واسعًا، ولا يرفع صوته زيادة عن الحاجة، ولا يخفضه خفضًا يمنع بعضهم كمال فهمه.

ويصون مجلسه من اللغط، والحاضرين عن سوء الأدب في المباحثة، وإذا ظهر من أحدهم شيء من مبادئ ذلك تلطف في دفعه قبل انتشاره، ويذكّرهم أن اجتماعنا ينبغي أن يكون لله -تَعَالَى- فلا يليق بنا

المنافسة والمشاحنة، بل سبيلنا الرفق والحياء واستفادة بعضنا من بعض واجتماع قلوبنا عَلَى ظهور الحق وحصول الفائدة.

وإذا سال سائل عن أعجوبة فلا يسخرون منه.

(الشرح)

(أعجوبة) يعني: سؤال غريب عجيب، يعني: كيف يُسأل هذا؟! فلا يضحكون عليه، هذا مبلغ علمه، يعني هو رجل يسأل، فلا يُنفَّر.

(المتن)

وإذا سئل عن شيء لا يعرفه أو عرض في الدرس ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه، ولا يستنكف عن ذلك، فقد قال ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله -تَعَالَى- لنبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦]"، رواه البخاري.

قالوا: وينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري، معناه: يُكثر منها، ولا يضع ذلك من منزلته، بل يدل عَلَى وقور عقله وعظم محله؛ لأن المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة، وإنما يتمنع من لا أدري من قلَّ علمه وقصرت معرفته وضعفت تقواه.

(الشرح)

(من قل علمه) ويحتمل: **(من قل عمله)** يعني: عمله الصالح، ولكن المشهور **(من قل علمه)**؛ لأنه كلما قل علم الإنسان يحصل عنده عقدة نقص أنه إذا قال: **(لا أدري)** سيكشفه الناس، ويحتمل **(قل عمله)** يعني: تقواه وصلاحه، لكن الأظهر -والله أعلم- أنه **(علمه)**؛ لأنه قال: **(وقصرت معرفته وضعفت تقواه)** والتقوى هي العمل، فلا داعي للتكرار، والله أعلم.

(المتن)

وإنما يتمنع من لا أدري من قلَّ علمه وقصرت معرفته وضعفت تقواه؛ لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من عين سائليه أو سامعيه، وهو جهالة منه، فإنه بإقدامه عَلَى الجواب فيما لا يعمله يضر نفسه وغيره وقد يبوء بالخزي العاجل والإثم الآجل، وفي الحديث: «المتشبع بما لا يعطه كلابس ثوبي زور».

آداب الدارس المتعلم

أما آدابه في نفسه فكآداب المدرس وقد أوضحناها.

(الشرح)

وهي الإخلاص وعدم العجب وعدم الرياء، واستغلال الوقت ... إلخ، كل ما سبق يصلح أن يكون له.

(المتن)

وينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره، وأن يقطع العلائق الشائكة عن كمال الاجتهاد، ويرضي باليسير من القوت، ويصبر عَلَى ضيق العيش، قال أبو حنيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "يستعان عَلَى العلم بجمع الهم، ويستعان عَلَى حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة".

(الشرح)

من الأمور المهمة التي أشار إليها المصنف هنا: قضية تطهير القلب من الأدناس؛ كما قال الله -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧] فالذكرى والعلم ظرفها القلب، فإذا لم يكن القلب متهيئا صالحا لقبول العلم لم تستفد شيئا.

لذلك إصلاح القلب من أعظم ما يعين على ضبط العلم، إصلاح القلب عن الهوى والشهوة والحسد والرياء ... إلى آخر الأمراض أمراض القلوب، إصلاح القلب وتنظيفه وتطهيره عن هذه الأمراض مما يعين على طلب العلم.

ثم قطع العلائق، أبو حنيفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول: "يستعان عَلَى العلم بجمع الهم"، جمع الهم يعني: عدم تشتيت الهم، هم هنا وهم هنا ويفكر في هذا وفي هذا وفي هذا، مشتت الهم، بل يجمع همه ويجعل همه في العلم وفي الآخرة، ومن جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله همه، كما ورد عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(المتن)

وقال الخطيب البغدادي: "يستحب للطالب أن يكون عزبًا ما أمكنه لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن إكمال طلب العلم".

(الشرح)

ونقول: هذه المسألة تعتمد على ظروف الناس، وأنا أقول: بل بالعكس في هذا الزمان أحث طالب العلم على الزواج؛ لأن هذا مما يُعين على طلب العلم، وذلك لكثرة الفتن وانفتاح هذا الزمان، بخلاف الأزمنة السابقة، فلا يتمسك أحد بهذا ويقول: أنا لا أريد أن أتزوج؛ لكي أطلب العلم، نقول له: إن شاء إذا كنت حريصا ستطلب العلم وستجد الوقت، فاحرص على هذا، لا سيما في هذا الزمان الذي ينبغي للإنسان أن يعف فيه نفسه.

(المتن)

وأن يتواضع للمعلم وينقاد له ويأتمر بأمره كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح.

ولا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، وكانت له دربة وخلق جميل وذهن صحيح واطلاع تام.

وينبغي أن ينظر معلمه بعين الاحترام والرجحان عَلَى أكثر طبقته فهو أقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه، وقد قال الشافعي: "كنت اصفّح الورق بين يدي مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- صفحًا رفيقًا هيبة له؛ لئلا يسمع رفعها"، وقال الربيع: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له".

(الشرح)

فإذا قال أحد: ألست تقول منذ قليل: الهيبة خيبة، أقول: هذا شيء وهذا شيء، المقصود هناك الهيبة أي: عدم السؤال حياء، أما هذه الهيبة هنا بمعنى الاحترام، ولا تعارض بينهما.

(المتن)

ويُروى عن علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال: "من حق العالم عليك أن تسلم عَلَى القوم عامة وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشير عنده بيدك، ولا تغمزن بعينيك غيره، ولا تقول: قال فلان خلاف قوله".

(الشرح)

يعني إذا قال مثلا: هذه المسألة الجواب فيها كذا كذا، فتقول له: لكن الشيخ فلان قال كذا، فأنت الآن أوقعت الشيخ في حرج؛ لأنه إما أن يخطئ فلانا، فماذا تريد أن تصل إليه؛ لذلك هذا من سوء الأدب، من سوء الأدب أن يُعترض على الشيخ أيًا كان قوله بقول آخر، فما الحل في هذا؟ الحل: أن يُسأل، إذا قال الشيخ

معلومة وأنت عندك اعتراض عليها، أن تأتي بالاعتراض على شكل سؤال دون ذكر الأسماء، فتقول له: فإن قال قائل كذا وكذا، فما الجواب؟ هنا يجيبك الشيخ، لكن أن تفاجئه باعتراض، بعض الناس يسأل: ما حكم كذا؟ تقول له: لا يجوز، فيقول: أنا سألت فلانا فقال: يجوز، فلماذا سألتني إذن؟ يقول: أنا فقط أعرف.

فهذا ينبغي أن ينبته له.

(المتن)

ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تسار في مجلسه ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته فإنما هو عليك كالنخلة تنتظر متى يسقط عليها منها شيء.

ومن آداب المتعلم: أن يتحرى رضا العلم وإن خالف رأي نفسه، ولا يفشي له سرًا، وأن يرد غيبته إذا سمعها، فإن عجز فارق المجلس.

(الشرح)

لأن من الخيانة أن يُغتاب صديقك فتجلس دون كلام فضلا عن شيخك الذي له فضل عليك، يغتابه الناس ولا ترد عن عرضه ولا تفارق المجلس، هذا ليس من المروءة للمسلم فضلا عمن بينهم وبينهم علاقة فضلا عن شيخك.

(المتن)

وأن لا يدخل عليه بغير إذن، وإذا كان معه غيره قدم الأفضل والأسن، وأن يدخل كامل الهيبة فارغ القلب من الشواغل متطهرًا متنظفًا بسواك وقص ظفر وإزالة ريح كريهة، ويسلم عَلَى الحاضرين بصوت يسمعهم، ويخص الشيخ بزيادة إكرام وكذلك يسلم إذا انصرف.

ولا يتخطى رقاب الناس، ويجلس حيث انتهى به المجلس إلا أن يأذن المعلم أو الحاضرون بالتقدم والتخطي أو يعلم من حالهم إيثار ذلك، ولا يقيم أحدًا من مجلسه فإن آثره غيره بمجلسه لم يأخذ إلا أن يكون في ذلك مصلحة للحاضرين بأن يقرب من الأستاذ ويذاكره مذاكرة ينتفع منها الحاضرون بها، ولا يجلس وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا بين الصالحين إلا برضاهما، وإذا فسح له وقعد، ويحرص عَلَى القرب من الأستاذ؛ ليفهم كلامه فهمًا كاملًا بلا مشقة عَلَى شريطة أن لا يرتفع في المجلس عَلَى أفضل منه.

ويتأدب مع رفقته وحاضري المجلس؛ فإن تأدبه معهم تأدب مع الأستاذ واحترام لمجلسه، ويقعده قعدة المتعلمين.

(الشرح)

الظاهر (ويقعد)، فهل (ويقعد قَعدة) أم (قِعدة) بالكسر أم بالفتح؟

طالب: بالكسر.

الشيخ: لماذا؟

الطالب: لأنها بالكسر اسم هيئة.

الشيخ: أحسنت، لأن القِعدة بالكسرة على وزن (فِعلة) اسم هيئة، إذا أردت أن تصف طريقة القعود فتكسر، أما إذا أردت أن تذكر العدد فتفتح، تقول: قعدت قَعدة واحة، أو جَلسة واحدة، أو ستين جَلسة، أما إذا أردت أن تصف هيئة الجلوس تقول: جلست جِلسة هادئة، قِعدة المتعلم، جِلسة المتعلم... إلخ.

(المتن)

ويقعده قِعدة المتعلمين، ولا يضحك ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبث بيده ولا غيرها، ولا يلتفت بلا حاجة بل يقبل عَلَى الأستاذ منصتًا إليه، ولا يسبق إلى شرح مسألة أو جواب سؤال إلا أن يعلم رضاه فيستدل عَلَى فضيلة المتعلم.

ولا يقرأ عَلَى أستاذه عند شغل قلبه وملله وغمه ونعاسه ونحو ذلك مما يشق عليه أو يمنعه استيفاء الشرح، ولا يسأله عن شيء في غير موضعه إلا أن يعلم من حاله أنه لا يكرهه، ولا يلح في السؤال إلحاحًا مضجرًا، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه، ويتلطف في سؤاله ويحسن خطابه، ولا يستحي من السؤال عما أشكل إليه بل يستوضحه أكمل استيضاح فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال، وإذا قال له الأستاذ: فهمت، فلا يقل: نعم حتى يتضح له المقصود إيضاحًا جليًا؛ لئلا يكذب ويفوته الفهم.

(الشرح)

فيكون وقع في خطأين، حين يقول لك الشيخ: فهمت؟ فتقول: نعم وأنت ما فهمت، فأنت أول شيء فوَّت على نفسك الفائدة، والشيء الثاني: كذبت، ما فهمت، فليس من بر الشيخ أن تقول: فهمت، لا تظن

أن هذا من البر، بل هذا فيه خطآن: فيه كذب، وفيه تفويت الفائدة على نفسك؛ لأنك إذا قلت له: فهمت، فلن يشرح لك.

(المتن)

ولا يستحي من قوله: لم أفهم؛ لأن استيثاقه يحصل له مصالح عاجلة وآجلة، فمن العاجلة: حفظ المسألة وسلامته من كذب ونفاق بإظهاره فهم ما لم يكن فهمه منها، ومنها: وثوق الأستاذ باعتنائه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه.

ومن الآجلة: ثبوت الصواب في قلبه دائمًا، واعتياده هذه الطريقة المرضية والأخلاق الرضية.

وعن الخليل بن أحمد: "منزلة الجهل بين الحياء والأنفة".

(الشرح)

وهذه الكلمة جميلة "منزلة الجهل بين الحياء والأنفة" وهذا معنى: "لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر"، من يستحي ويخجل لن يتعلم، ومن يتكبر أيضا لن يتعلم، فالجهل بينهما.

(المتن)

وينبغي إذا سمع الأستاذ يقول مسألة أو يحكي حكاية وهو يحفظها أن يصغي لها إصغاء من لا يحفظها.

(الشرح)

ولا تبيِّن له أنك تعرفها وتفهمها وتحفظها، من الأدب مع الشيخ أو مع غيره إذا استرسل في ذكر قصة أن تستمع لها كأنك تستمع لها لأول مرة.

(المتن)

وينبغي أن يكون حريصًا عَلَى التعلم، مواظبًا له في جميع أوقاته ليلًا ونهارًا حضرًا وسفرًا، ولا يُذهب من أوقاته شيئًا في غير العلم إلا بقدر ما لا بد له من أكل ونوم وراحة، وما أجمل قول الشافعي: "حق عَلَى طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم والصبر عَلَى كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله -تَعَالَى- في إدراك علمه نصًا واستنباطًا والرغبة إلى الله -تَعَالَى- في العون عليه.

يقال: أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم الغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار لفراغ البال وهدوء الحركة، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعُد عن الملهيات، ولا يحمد الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق؛ لأنها تمنع غالبًا خلو القلب.

(الشرح)

طبعا طالب العلم لا يخلو من حاجته إلى الحفظ وحاجته إلى الفهم، وطريقة الحفظ وزمانه ومكانه تختلف باختلاف الأشخاص، فلا نستطيع أن نضع فيها قانونا يسري على الجميع، ولكن بشكل عام مما يُنصح به إذا أراد الإنسان أن يحفظ أن يكون في مكان بعيد عن الملهيات، ليس فيه أصوات، وليس فيه مدى بعيد، لذلك هنا لما قال: **(ولا يحمد الحفظ بحضرة النبات)** لماذا؟ لأن رؤية النبات والأشجار ستلهيه وتشتته، لذلك قديما إذا أراد أحدهم أن يحفظ يقابل الحائط، يعني: تحاول أن تجلس بحيث لا ترى إلا شيئا، يعني حائط أمامك، وهذا مما يُعين على الحفظ؛ لأنه يجمع العقل على الحفظ، أما إذا أردت أن تفهم قراءة وفهما فاقصد الأماكن المفتوحة كما يقولون، يعني الأماكن المفتوحة على البحر مثلا أو في الصحراء، يُقال: إن هذا مما يُعين على الفهم، وكما قلت: القضية تختلف باختلاف الأشخاص.

والحفظ مثل عضلات الجسد، لا تظن أنك إذا أكثرت منه قل، بل بالعكس إذا أكثرت منه زادت قدرتك عليه، وإذا أقللت منه ضعفت قدرتك عليه، فكلما ازددت حفظا كلما سهُل عليك الحفظ بعد ذلك، مثل صاحب العضلات الذي كلما مرَّنها كلما قويت.

(المتن)

وإذا جفاه الأستاذ رجع إليه بالاعتذار وأظهر ندمه وخطأه فذلك أنفع له دينًا ودنيا وأبقى لقلبه، قالوا: "من لم يصبر عَلَى ذل التعلم بقي دهره في عماية الجهل".

ومن آدابه: الحلم والأناة، وأن تكون همته عالية فلا يرضي باليسير من إمكان الكثير، وأن لا يسوف في اشتغاله ولا يؤخر تحصيل فائدة وإن قلت إذا تمكن منها؛ لأن للتأخير آفات، ولا يحمل نفسه ما لا تطيق مخافة الملل.

(الشرح)

وهذه مسألة مهمة، التسويف والتأجيل من الأمور القاتلة لطالب العلم.

لا شك أن الترتيب مهم، لكن تطلب الكمال يُعيق إتمام الأعمال، بمعنى: لو أردت أن تقرأ كتابا، تود أن تقرأ هذا الكتاب، ولكن تريد أن تقرأه بطريقة معينة وقراءة دقيقة، وليس عندك وقت، وتؤجل، فلن تقرأه، اقرأه قراءة سريعة مرورا عليه تحصل خمسين في المائة منه خير لك من أن تؤجل ولا تقرأ، أو اسمعه سماعا، إذا أردت أن تقرأ كتابا لا سيما من المطولات.

الآن بعض الأخوة -جزاهم الله خيرا- يقرؤون كتبا مسموعة ساعات كثيرة ما شاء الله في اليوتيوب وفي غيرها، فإذا لم يكن عندك وقت لتقرأ هذا الكتاب اجعله وردا لك في السيارة مثلا، ليس شرطا أن يكون أمامك، سواء الكتاب معك أو ليس معك، صحيح أن القراءة ليست كالسماع، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله، وإذا أردت أن تتطلب الكمال في كل شيء لن تُنجز شيئا، فتحقق الحد الأدنى، ثم بعد ذلك إذا شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومد في عمرك ترجع مرة أخرى وتقرأه قراءة جيدة.

فالشاهد: هذا من الإشكالات التي تقع عند بعض طلبة العلم التسويف ابتغاء الأكمل، فلا حصل له لا الأكمل ولا ما هو أقل منه، فارض بالأقل رغبة في التحصيل، ثم بعد ذلك إذا كان عندك وقت فارجع إليه مرة أخرى.

(المتن)

وإذا جاء مجلس أستاذه ولم يجده انتظر ولا يفوِّت درسه.

وإذا وجده نائمًا لا يستأذن عليه، بل يصبر حتى يستيقظ أو ينصرف، والأحسن الصبر كما كان السلف يفعلون.

وينبغي أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن وبداهة الخاطر وقلة الشواغل، قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة، فقد قال الشافعي: "تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه".

(الشرح)

صحيح، وهذه نصيحة ذهبية، استغل التفقه وأوقات الفراغ والشباب قبل أن تُشغل، نعم أنت مشغول، لكن كلما تقدم بك العمر ستُشغل أكثر، لا تظن أنك ستكون أفضى، لا، والوقت مثل الكأس،

يُملا مباشرة، إذا تركته فارغا مُلئ، فإذا لم تملأه بالخير مُلئ بغير ذلك؛ فلذلك بادر بالعمل الصالح، ومن أعظم العمل الصالح العلم.

(المتن)

ويعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه تصحيحًا متقنًا ويكرره مرات؛ ليرسخ رسوخًا متأكدًا، ثم يراعيه بحيث لا يزال محفوظًا جيدًا، وليذاكر محفوظاته، وليدم الفكر فيها.

(الشرح)

طالب العلم قديما قبل أن يأتي إلى الدرس يفعل ثلاثة أشياء:

الأول: يصحح النسخة، لا سيما قديما كانت النسخ خطية كما تعلمون، فليست كل نسخة جيدة، فكان ربما لا يجد كتابه فينتسخه، ويصحح النسخة ويتأكد ويتطلب نسخة جيدة، لا سيما إذا كان متنا صغيرا يريد أن يحفظه.

الأمر الثاني: كان يحفظ المتن قبل أن يقرأ، ما كانوا يقرؤون إلا إذا حفظوا، فيقرؤون ما حفظوه بعد تصحيحه.

الأمر الثالث: ما يُسمى بالتحضير، محاولة أن يقرأ الإنسان شيء أو يحاول أن يتفهم؛ لكي يُسهِّل على نفسه التحصيل في أثناء الدرس.

أما طالب العلم الذي يُلقي بتبعة التعليم كاملة على مجلس العلم دون أي جهد، يعني: يشق النايلون الخاص بالكتاب في الدرس، هذا لن يحصل شيئا، قديما لا، أول شيء: يتطلب نسخة جيدة ويتأكد من صحتها، ثم يحفظ، ثم يحضر، يقرأ حواشي، يقرأ بعض الشروح، أو يحاول أن يتفهم، لن يفهم طبعا بشكل جلي، فيعرف إلى ماذا ينتبه في الدرس، ويعرف عن ماذا يسأل، فيكون قد حصل الفائدة بأعظم قدر ممكن.

(المتن)

وينبغي أن يبدأ من دروسه وفي الحفظ والتكرار والمطالعة بالأهم فالأهم، وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز، فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان، وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصرًا ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الحديث والأصول والنحو ثم الباقي.

(الشرح)

وَاحْفَـــظْ كِتَـــابَ اللهِ وَاسْتَمْسِـــكْ بِـــهِ وَاحْفَـــظْ مُتُـــونَ العِلْـــمِ بِالإِتْقَـــانِ

لا شك أن أولى وأول ما يبتدئ به طالب العلم حفظ القرآن، ولكن هنا سؤال متكرر عند طلبة العلم، من وفقه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لحفظ القرآن فليحمد الله -عَزَّ وَجَلَّ- وليداوم على حفظه، ومن لم يوفقه يقول: هل أتوقف عن طلب العلم حتى أتم حفظ القرآن؟ هذا سؤال متكرر.

الجواب: أيضا كما قلت قبل قليل يختلف باختلاف الأشخاص، الأصل أن لا تبدأ بطلب العلم إلا بعد حفظ القرآن، لكن هذا الأمر قد يكون فخا، وتمضي الأعمار لا هو الذي أتم حفظ القرآن، ولا هو الذي طلب العلم ويكون قد فوَّت كثيرا من الخير، فالحل هو بالتوازن، المهم أن يكون لك ورد من القرآن يومي في مراجعته وفي تلاوته، أنت طالب علم لا يُتصور ألا يكون لك عناية بالقرآن بشكل يومي، فإذا كنت حافظا فلا بد من المراجعة اليومية بالورد، وإذا لم تكن حافظا فلا بد أن يكون لك جدول في حفظ القرآن، ولا مانع أن يصحب ذلك شيء من طلب العلم، لا سيما إذا لم يكن مؤثرا على حفظ للقرآن.

(المتن)

ثم يشتغل باستشراح محفوظاته، ويعتمد من الشيوخ في كل فن أكملهم في الصفات السابقة، وكلما أتقن مختصرًا انتقل إلى أكبر منه مع المطالعة المتقنة والغاية الدائمة المحكمة، وتعليق ما يراه من النفائس والغرائب، وحل المشكلات مما يراه في المطالعة أو يسمعه من الأستاذ.

(الشرح)

وهنا مسألة مهمة: ينبغي أن تتخذ لك في كل فن كتابا عمدة يكون مجمع الفوائد بالنسبة لك في هذا الفن، وهذا الفن من صفاته ينبغي أن يكون ليس مختصرا ولا بالطويل جدا، وإنما يكون متوسطا جامعا لأهم مسائل العلم، مثاله في الفقه: الروض المربع مثلا، يعني يكون بحجم الروض المربع، ليس هو بالمختصر وليس هو بالمطول الكبير، وقل مثل ذلك في التفسير، وليكن مثلا تفسير ابن كثير، وقل مثل ذلك في مصطلح الحديث، وقل مثل ذلك في أصول الفقه وفي السيرة النبوية ... إلخ.

أول صفة فيه: أن تكون قد درسته واعتنيت به، هذا أولا.

ثانيا: أن يكون متوسطا، ليس بالكبير ولا بالصغير.

ثم تجعله مجمعا للفوائد، كل فائدة تقرأها لا سيما إذا كانت في غير مظانها، فأنت تقرأ في التفسير مثلا فيذكر مسألة فقهية، نكتة معينة، تذهب إلى موضعها في هذا الكتاب الذي اتخذته عمدة لك فتدونها، وانتبه هنا لمسألة مهمة: لا تدون كل شيء، لا تدون العلوم قريبة المأخذ، يعني لا تعرف الطهارة لغة واصطلاحا مثلا، تملأ الكتاب بتعريف الطهارة، ستفتح الشرح وتجده، احرص في تعاليقك على كتابة ما يصعب الوصول إليه، الأمور التي في غير مظانها، يعني مثلا كتاب له شرح لا تنقل الشرح كاملا، فالشرح موجود، يعني فك العبارة موجود في الشرح، اتركه، اكتب مثلما قال الشيخ هنا: **(وتعليق ما يراه من النفائس والغرائب، وحل المشكلات مما يراه في المطالعة أو يسمعه من الأستاذ)** أما الأمور الواضحات فلا تسود كتابك بها؛ لأنك إذا مضى عليك الوقت سيضيق عليك الكتاب، لن تجد مكانا، فدوِّن المهم فقط، والأمور قريبة المأخذ تجدها في مأخذها، وهذا من الأمور المهمة أن يكون لك في كل فن كتابا عمدة، هو مجمع الفوائد بالنسبة لك، هو بعد فترة من الزمن ستجده كنزا، قد جمع لك فوائدك الفقهية في مكان واحد والأصولية وفوائد التفسير ونحو ذلك.

(المتن)

ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت بل يبادر إلى كتابتها، ثم يواظب عَلَى مطالعة ما كتبه.

(الشرح)

هنا عبارة جميلة يقول: "اقرأ كل شيء" المعنى طبعا كل شيء مهم، "ودوِّن أهم ما تقرأ، واحفظ أهم ما دوَّنت، وحدِّث بأهم ما حفظت"، اقرأ كل شيء، ودوِّن أهم ما تقرأ، واحفظ أهم ما دوَّنت، وحدِّث بأهم ما حفظت"، هنا يكون كلامك دررا.

(المتن)

وليعتن بكل الدروس ويعلق عليها ما أمكن، فإن عجز اعتنى بالأهم، وينبغي أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده عَلَى جهة النصيحة والمذاكرة.

(الشرح)

لا تكن أنانيا، إذا وجدت فائدة فلا تبخل بها على زملائك، وأرشدهم إليها؛ لأن الذي يحاول أن يحرم الآخرين من العلم حري أن يوفَّق، والذي وُفِّق لأن يكون سمحا فيدل زملاءه وإخوانه على الفوائد وعلى

النفائس فإنه حري أن يُبارك له في علمه، وقد ذكر السخاوي في فتح المغيث مسألة مع الأسف ما زالت موجودة إلى يومنا هذا، وهي مسألة الضن بالشيوخ شيوخ السماع، بمعنى أن الطالب يريد أن يستفرد بالعلو، فإذا وجد شيخا له سند عال لم يُخبر أحدا؛ حتى يكون هو الوحيد الذي يحصل هذا الشيخ، ويقول: -وطبعا لا يقول إلا بعد أن يموت، عندما يتوفى الشيخ- يقول أنه قرأنه عليه كذا، لماذا؟ هذا طبعا علامة على عدم الإخلاص، أنت ماذا تريد؟ تريد أن يُقال أنك عالي السند؟ وقد قيل، والبركة تكون فيمن يدل إخوانه على الخير وعلى العلم.

السخاوي يقول: "فهذا حري له أن لا يُبارك له في علمه"، وقد شهدت أناسا بهذه المثابة لم يُبارك لهم في علمهم، كانوا يضنون ويحكرون، يقولون: لا تقول لأحد، لا تخبر أحدا أن الشيخ موجود، هذا حري أن لا يوفَّق، أما الذي يكون سمحا في هذه المعلومات وهذه الفوائد حري أن يُوفَّق.

(المتن)

ثمرة ذلك:

قال الإمام النووي إثر ما تقدم: "فَإِذَا فَعَلَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَتَكَامَلَتْ أَهْلِيَّتُهُ وَاشْتَهَرَتْ فَضِيلَتُهُ اشْتَغَلَ بِالتَّصْنِيفِ وَجَدَّ فِي الْجَمْعِ وَالتَّأْلِيفِ مُحَقِّقًا كُلَّ مَا يَذْكُرُهُ ومُبينا فِي نَقْلِهِ وَاسْتِنْبَاطِهِ مُتَحَرِّيًا إِيضَاحَ العبارات وبيان المشكلات، مجتنبا الْعِبَارَاتِ الرَّكِيكَاتِ وَالْأَدِلَّةَ الْوَاهِيَاتِ، مُسْتَوْعِبًا مُعْظَمَ أَحْكَامِ ذلك الفن غير مخل بشيء مِنْ أُصُولِها، مُنَبِّهًا عَلَى الْقَوَاعِدِ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ لَهُ الْحَقَائِقُ وَتَنْكَشِفُ الْمُشْكِلَاتُ وَيَطَّلِعُ عَلَى الْغَوَامِضِ وَحَلِّ الْمُعْضِلَاتِ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ وَالرَّاجِحَ مِنْ الْمَرْجُوحِ وَيَرْتَفِعُ عَنْ الْجُمُودِ عَلَى مَحْضِ التَّقْلِيدِ وَيَلْتَحِقُ بِالْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ أَوْ يُقَارِبُهُمْ إنْ وفقه الله، وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ" اهـ كلام النووي.

آداب يشترك فيها العالم والمتعلم:

ينبغي لكل منهما أن لا يخل بوظيفته لعروض مرض خفيف ونحوه مما يمكن معه الاشتغال، وأن لا يسأل أحدًا تعنتًا وتعجزًا فالسائل تعنتًا وتعجزًا لا يستحق جوابًا.

(الشرح)

بعضهم يسأل من باب التعجيز، ليس من باب الاستفادة، وبعضهم بحسن نية، يعني السؤال له أدب وله فقه، فلا تسأل عن كل شيء، فبعضهم يسأل سؤالا لا يمكن أن يُجاب عنه، إما لطوله، أو لتعقيده، لا

يسع الوقت أن يُجاب عنه، أو يكون فيه إحراج، ويريد أن يمتحن الشيخ بهذا، يرى أن هذا الجواب قد يُحرجه ويوقعه في حرج مثلا، فيحاول أن يخلص النية في هذا السؤال ويقصد فيه وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ- والفائدة.

(المتن)

وأن يعتني بتحصيل الكتب شراءً واستعارة، وليشتغل بنسخه أو استنساخه إذا كان نفيسًا، وليعتن بتصحيحه، ولا يرتض الاستعارة مع إمكان تحصيله.

(الشرح)

لماذا؟ لأن الاستعارة تمنعه من التدوين، فإذا كان يستطيع أن يشتري الكتاب فاستعارته أول شيء أمانة عنده، وقد يضيع فيكون في ذمته، وكذلك لا يستطيع أن يكتب، فيحصله.

(المتن)

فإن استعاره لم يبطئ به؛ لئلا يفوت الانتفاع به عَلَى صاحبه، ولا يكسل عن تحصيل الفائدة منه، ولا يمتنع من إعارته غيره؛ لأنه أعانه عَلَى العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل.

(الشرح)

ومن المشهورين بالعناية بالكتب الإمام ابن النحوي الشهير بابن الملقن، كان عنده من النفائس في الكتب جمعا وتحصيلا وانتساخا واستعارة ما يُتحدث عنه، فكان سبب موته احتراق هذه المكتبة، سبحان الله! احترقت فمرض إما واختلط ثم مات بعد ذلك، وقد ذكر ابنه والأب اسمه سراج الدين بن الملقن، لما مرض واختلط حجبه ابنه عن الناس، ثم قال له أبياتا لطيفة، قال له:

لا يزعجنك يا سراج الدين أن ... لعبت بكتبك ألسن النيران

لله قد قربتها فتُقُبِّلت ... والنار مسرعة إلى القربان

من باب التلطف، ثم لم يلبث -رَحِمَهُ اللَّهُ- إلا قليلا ثم مات، من شدة عنايته وحبه للكتب.

(المتن)

روي أن رجلًا قال لأبي العتاهية: أعرني كتابك، قال: إني أكره ذلك، قال: أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره، فأعاره.

(الشرح)

هذا عيَّره قال له: "أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره"، فأعاره.

(المتن)

ويستحب شكر العير لإحسانه، وليحذر من الإبطاء بها عن أربابها، قال الزهري: إياك وغلول الكتب، يعني: حبسها عن أصحابها، وبسبب حبسها امتنع غير واحد من إعارتها وانشدوا من ذلك أشياء كثيرة.

خاتمة:

هذه النبذة من آداب المدرس والدارس أو المعلم والمتعلم مختصرة بالنسبة إلى ما جاء فيها، وقد اردت إحياء ما قاله الأئمة المتقدمون في هذا وتطرية ذكره؛ لما فيه من الفوائد والحكم والنصائح التي هي نتيجة ما أوصى بها السلف أيام استبحار العلوم ونضارتها في حضارة القرون الأولى، فليحرص المدرس والدارس عليها وليحافظ العالم أو المتعلم عَلَى التخلق بها والاهتداء بها، فثمرة العلم العمل وبالله الاستعانة وعليه المتكل.

(الشرح)

ونحمد الله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- على ما يسَّر وتمم في قراءة هذا المتن والمبارك، وللإخوة المحبين لقضية الأسانيد فهذا المتن أرويه إجازة عن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الحي الكتاني عن أبيه الشيخ عبد الحي الكتاني عن المصنف.